

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

{ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَقْفَهُوا

قَوْلِي } [طه: 25-28].

اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا،
نحمدك الله على كل حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

حديثنا عن واجب الشباب المسلم اليوم ما هو؟

هناك شباب، وشباب مسلم، وواجب عليه، وواجب موقوف بزمن معين
هو زمننا هذا .. عصرنا هذا.

من هو المسلم؟

المسلم هو إنسان عين الوجود، هو صاحب الرسالة الخالدة، وارث
النبوات التي آلت إليه، وتركات الأنبياء التي تمثلت في الإسلام دينًا ومنهج
حياة، فكل ما في الأديان كلها قد ركز ولخص في هذا الدين الذي امتن الله
بإتمامه على عباده حينما قال: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة: 3].

المسلم هو الذي يحمل هذه الرسالة، رسالة محمد صصص، رسالة
القرآن، رسالة الخلود.

الشباب مرحلة القوة:

الشباب يمثل مرحلة القوة والحيوية الدافئة؛ لأنه وسط العمر ووسط كل

شيء خياره. فحينما تكون الشمس في كبد السماء في رابعة النهار، تكون أقوى وأحر ما تكون.

الشباب إذن مرحلة الفتوة والحيوية في عمر الإنسان وفي حياته، ومن هنا كانت أهمية هذه المرحلة.

مرحلة العطاء والبذل والقدرة على تحمل الأعباء، ولذلك كان حملة الدعوات وحماة الرسالات شبابًا.

الشباب حملة الرسالات:

حدثنا عز وجل عن أصحاب موسى عليه السلام فقال: {فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ} [يونس: 83]. وحدثنا القرآن عن أهل الكهف فقال: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف: 13].

حدثنا عن إبراهيم الذي حطم الأصنام، وجعلها جذادًا إلا كبيرًا لهم لعلمهم إليه يرجعون، فقال على لسان عباد هذه الأصنام: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: 60]. أي: أنه كان في سن الفتوة والشباب.

نماذج رائعة للشباب:

وحدثنا القرآن عن كثير من الشباب ضربوا أمثلة شتى في الفضائل:

إسماعيل الذبيح:

حدثنا عن إسماعيل الذي ضحى بنفسه وقدم عنقه لله طائعًا مختارًا، بعد أن بلغ مع أبيه السعي، وعرض عليه أبوه الذبح: {قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي

أَدْبَحَكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ { [الصفات: 102]. لم يقل أفعل بي ما تؤمر، بل قال: أفعل ما تؤمر. أي أنه لم يذكر نفسه، بل فنى عن نفسه وفنى عن ذاته: كأنه يقول لأبيه: نفذ الأوامر التي عندك ولا تسألني!! { أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّغِيرِينَ } [الصفات: 102].

يوسف الصديق:

حدثنا القرآن عن شاب آخر ... هو يوسف عليه السلام.

عرضت عليه الشهوة، المتعة الجنسية سعت إليه ولم يسع هو إليها! وكانت كل العوامل تجعله يقبل مثل هذا، لو كان ضعيف الإيمان.

فهو شاب عنده فتوة الشباب وجماله وحنفوانه .. وهو شاب غريب عن وطنه ليس هناك من يعرفه، وليس هناك من يلومه .. وهو عذب، ليس عنده زوجة تعفه، ويستغني بها .. والتي تدعوه ليست امرأة من عرض الطريق، إنما هي امرأة ذات منصب وجمال، فهي امرأة العزيز، وهي سيدته وهو مملوكها، وهو في بيتها .. ولم تكن فتنة عارضة ولا لحظة طارئة، ولكنها فتنة تراوح وتغاديه، وتصاحبه وتماسيه .. وهي التي دعت إلى نفسها، ولم تكفي بالتلميح حتى دخلت في باب التصريح، وقالت: { هَيْتَ لَكَ }، ولكن يوسف عليه السلام رفض ذلك كله بإباء وشمم، وقال: { مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } [يوسف: 23].

ولما لم يجد مع يوسف الإغراء، لجأت إلى التهديد وقالت: أمام النسوة ما قالت متوعدة مهددة: { وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَأْمُرُهُ لَيْسَجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا

تَصْرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ { [يوسف: 32، 33].

كان يوسف عليه السلام مخيراً بين محنتين: محنة في دينه، ومحنة في دنياه. محنة في دينه: أن يزني ويكون من الفاسقين. ومحنة في دنياه: أن يسجن ويكون من الصاغرين.

فأثر محنة الدنيا على محنة الدين وقال: { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } ، وقد علمنا النبي صصص أن نقول: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا»¹.

فهؤلاء هم الشباب وهذا هو وضع الشباب.

الشباب دائماً هم عنصر القوة، وهم دائماً الذين يقومون بأعباء النهضات والرسالات. وقد كان أصحاب النبي صصص شباباً، أكبر صحابي من المعروفين هو أبو بكر ... كانت سنة يوم إسلامه ثمانية وثلاثين عاماً ... وكان عمر أصغر منه بعشر سنوات .. وعلي كان دون العاشرة يوم أسلم وغيرهم كثير.

كانوا في العقد الثاني من عمرهم 12، 13، 14، 15 رضي الله عنهم أجمعين.

ولذا كان على الشباب المسلم عبء كبير، وعليه واجب ضخم نحو نفسه ونحو دينه ونحو أمته، وخاصة في هذا العصر، واجبه أن يكتشف ذاته، أن يعرف نفسه ويكتشف من هو؟ وما هو؟

¹ حديث حسن رواه الترمذي، والحاكم، عن ابن عمر، كما في «صحيح الجامع الصغير» وزيادته (1268).

واجبات أربعة على الشباب المسلم:

هناك واجبات أربعة محددة في عنق الشباب المسلم في هذا العصر، سيكون حديثنا في إطارها.

1- واجب الفهم الصحيح للإسلام:

ما هو أول واجب على الشباب المسلم من هذه الواجبات الأربع؟ إن الواجب الأول عليه أن يفهم الإسلام. ذلك أن العلم يسبق العمل. على الشباب المسلم أن يفهم الإسلام حق الفهم، أن يتفقه في دينه لا بد من الفهم الصحيح للإسلام، الناس ظلموا الإسلام فأدخلوا فيه ما ليس منه، وأخرجوا منه ما هو من صلب تعاليمه.

في عصر من العصور كان الناس يضيفون إلى الإسلام ما ليس منه، أشياء غريبة دخلت على الإسلام وليست من الإسلام، فشوهت جماله وكدرت صفاءه، وانتشرت البدع، وأصبح الناس يقبلون في الإسلام أشياء ما أنزل الله بها من سلطان «البدعة الحسنة» وتحت عنوان زيادة الخير خير!!

والنبي صص حذر من أي زيادة على الدين؛ لأن كل ما يقبل الزيادة يقبل النقص، والكامل لا يقبل زيادة ولا نقصاً، والله أكمل هذا الدين فلا يقبل زيادة من أحد، {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3].

والذي يريد أن يزيد في الدين كأنه يستدرك على الله عز وجل، ويزعم أن الدين ناقص وهو يريد أن يكمله، ولذلك حذر النبي صص فقال: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»²، «من أحدث في أمرنا هذا ما

² رواه الترمذي في «العلم» حديث (2676)، وابن ماجه في «المقدمة» حديث (42).

ليس منه فهو رد»³. فالابتداع في الدين مرفوض، الإسلام فرض الابتداع في أمور الدنيا، والاتباع في أمور الدين ووقوف عند الحدود.

ولكن لما ساءت أحوال المسلمين وجاءت عصور التخلف والانحطاط والاضطراب قلبوا الوضع .. فبدل أن يخترعوا في أمور الدنيا اخترعوا في أمر الدين، وجمدوا في أمور الدنيا وأصبحت حياتهم كالماء الراكد الآسن!!

وفي أمور الدين مخترعات ومبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك نريد من الشباب المسلم أن يفهم الإسلام فهما صحيحًا سليمًا يرده إلى فطرته وصفائه الأول، إلى ينابيعه الأصلية.

فإذا كانت العصور السابقة كانوا يريدون أن يزيدوا على الإسلام في معتقداته، وفي معاملاته، وفي أشياء كثيرة منه.

فعصرنا هذا يريد أن ينقص الإسلام ويخرج من الإسلام أشياء كثيرة هي من تعاليمه وأحكامه.

يريدونه إسلامًا بلا جهاد .. إسلامًا بلا حدود، فلا داعي لرجم الزاني، أو جلد شارب الخمر ... إلخ.

يريدون إسلامًا بلا طلاق ولا تعدد زوجات .. إسلامًا بلا دولة ولا حكم، الدولة شيء والدين شيء آخر، أي: ما يُسمَّى العلمانية - عزل الدين عن الدولة، أو الدولة عن الدين- حيث تكون دولة لا دين لها، أو دين لا دولة له.

هذه كلها من محاولات إخراج أشياء من تعاليم الإسلام أو من صلبه، ولكن نحن نرفض هذا كله لا زيادة ولا نقص.

³ رواه البخاري في «الصلح» حديث (2697)، ومسلم في «الأفضية» حديث (1718).

نريد أن تقع الأشياء في مواضعها، نقدم ما حقه التقديم ونؤخر ما حقه التأخير؛ لأن تعاليم الإسلام ليست في درجة واحدة.. هناك العقائد وهي أسس الإسلام.

ثم الفرائض التي هي بمثابة أركان الإسلام: «بني الإسلام على خمس...»، وهي أيضًا متفاوتة. فالصلاة عماد الدين، والزكاة قنطرة الإسلام.. ثم الواجبات الأخرى.

هناك واجبات عينية وواجبات كفائية، مثل: فرض العين، وفرض الكفاية، ثم تأتي السنن ومنها سنن مؤكدة ومرغب فيها أشد الترغيب وهناك مستحبات يثاب فاعلها ولا يعاقب من تركها فالمفروضات في الدين ليست في درجة واحدة.

هناك الشرك وينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر. وهناك المحرمات منها الكبائر والصغائر.

فمنزلة الكبائر غير منزلة الصغائر.

الصغائر تكفرها الصلوات الخمس كما جاء في حديث الإمام مسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

أما الكبائر فلا تكفرها إلا التوبة ورد المظالم إلى أهلها.

هناك الشبهات مثل الأشياء المختلف في حلها أو حرمتها.

حيث هناك من يحلها وهناك من يحرمها، وهي ليست كالحرام الصريح

المتفق عليه.

هناك المكروهات:

المكروه التحريمي والمكروه التنزيهي.

المكروه التحريمي هو ما كان إلى الحرام أقرب.

والمكروه التنزيهي ما كان إلى الحلال أقرب.

ينبغي أن نضع الأشياء في مراتبها، نقدم ما حقه التقديم، ونؤخر ما حقه التأخير، بحيث لا نصب معركة على مكروه تنزيهي أو أمر مشتبه في حرمة أو مختلف فيه بين العلماء.

ولهذا يجب تقدير الأولويات والأشياء الأساسية في الدين.

تأسيس العقائد على التوحيد شيء هام.

إقامة الفرائض أمر لا تهاون فيه بحال.

الكبائر يجب مقاومتها بكل ما نستطيع.

نحن نريد حينما نتفقه في الإسلام ونفهم الدين، أن نعرف مراتب التعاليم الإسلامية لأنفسنا ولغيرنا.

لأن صاحب الدعوة يجب أن يعرف هذه الدرجات وتفاوتها جيداً فلا يضيع حياته في معركة جزئية.

ولأن المعركة الآن أصبحت معركة الإيمان والإلحاد قبل كل شيء.

فما ينبغي أن نعلمه جيداً في فهم الإسلام: أن نأخذ الإسلام من ينابيعه

الصافية. نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله، نعود إلى فهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان، خير القرون، فقد كان فهمهم للإسلام نقيًا، فهما لروح الإسلام وسلوكهم من أجل الإسلام أرقى وأوثق. ينبغي أن نحرص على أن نأخذ من المدرسة الأولى قبل أن تدخل الشوائب على الإسلام وتكره وتعكر صفوه.

ولا شك أن هناك أشياء شابت الثقافة الإسلامية - إسرائيليات، روايات ضعيفة، أحاديث موضوعة، شطحات وغلوات وانحرافات في الفكر - جاءت من نتائج اختلاط المسلمين بغيرهم من الملل والنحل والأمم وتأثرهم بهم بحكم الطبيعة البشرية، لا بد أن نعرف هذا كله ونأخذ من المحققين من علماء الإسلام. على أنه ينبغي أن نعلم ما قاله الإمام مالك، وقد روى مثله عن عطاء وابن عباس رررت: أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صصص.

على الشباب المسلم أن يفقه إسلامه فقها جيدا. ولكن ليس معنى هذا أننا نريد من طالب الطب أو الهندسة ... أن يترك الدراسة العلمية، ويتفرغ للقراءة في كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول ...

ليس هذا مطلوباً من كل إنسان .. ولكن لا بد من التخصص، وكل ميسر لما خلق له.

وقد قال تعالى: { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة:

[122].

هناك نوع من التفقه هو فرض كفاية .. وهو التبحر والتعمق، بحيث يعلم

الأخرين، ويصبح مرجعا يفتني ويفقه ويعلم.

وهناك معرفة مطلوبة من كل مسلم في أمور الدين لتوضح له الغاية، وتنير له الطريق. وهنا ينبغي للإنسان قدر معين، ليفقه به دينه، يحرر به عقيدته، ويصحح به عبادته، وينظم به سلوكه، ويقف به عند حدود الله في حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وينظم حياته ووقته، بحيث يكون عنده أرضية سليمة صلبة لفهم الإسلام من ينابيعه الصافية، بعيداً عن غلو الغالين، وتقصير المقصرين، فما ضيعنا شيء مثل الإفراط والتفريط ...

نحن نريد للشباب المسلم العامل للإسلام أن يتفوق في دراسته، وأن يكون نموذجاً متميزاً من المتفوقين، حتى يعرف الناس أن التدين ليس عائقاً عن الدراسة، وهذا أمر ينبغي أن يقيمه بين الواجبات بعضها وبعض بحيث لا يطغي واجب على واجب.

الدراسة واجب والتفوق فيها لازم لصاحب الدعوة. كما يجب أن نتعلم من الدين ما يلزمنا من ضروريات الوقت والحياة.

فمثلاً أحكام الصلاة والطهارة لا بد للشباب من تعلمها كي تصح صلاته، وكذلك الأحكام الأساسية للصيام.

وإذا أراد مثلاً أن يحج ينبغي أن يقرأ رسالة في أحكام الحج، ليعرف بها الأركان والواجبات حتى تصح بها حجته..

ولكن ليس مطلوباً من كل إنسان ومن كل مسلم أن يتفقه في الحج ويتعمق فيه، ولكن حينما يريد الشاب أن يحج يقرأ رسالة في أحكام الحج.

حينما تريد أن تعتمر ... أقرأ رسالة في أحكام العمرة، حينما تكون صاحب

مال اعرف ما يخصك من الأحكام الزكاة.

إذا كنت تاجرًا فاعرف أحكام التجارة، وما يتعلق بأساسيات البيع والشراء
والصرف والسلم والربا ونحوها مما يحتاج إليه كل مشغول بالتجارة ...

الأشياء التي تتعرض لها في حياتك اليومية ينبغي أن تعرفها ... مما يؤكل،
ومما يلبس، ومما يسمع، ومما يشرب، ومما يشاهد ... إلخ.

وتعرف هذا حتى لا تقع في الحرام وأنت لا تدري، أو تنكر على غيرك
أشياء وتصرفات هي في دائرة الحلال وأنت لا تعرف، أو تعتقد المكروه حراما
أو الصغيرة كبيرة أو العكس.

هذا الفهم لا بد منه؛ لأن الإسلام دين يقوم على البصيرة، وليس فيه مثل ما
في الأديان الأخرى:

اعتقد وأنت أعمى!! أو: اغمض عينيك ثم اتبعني!! أو الجهالة أم التقوى!!

ولكن الإسلام يقول: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعْتِي} [يوسف: 108]. فكل من اتبع رسول الله صصص فهو خليفة له، يدعو
إلى الله على بصيرة، وعلى نور.

ويقول: {أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} [محمد: 14]،
{أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ} [الزمر: 22]، {نُورٌ عَلَىٰ
نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورٍ مَّن يَشَاءُ} [النور: 35].

نور الفطرة والعقل، ونور الوحي والنبوة: نور على نور!!

الإسلام لا يقبل أن يمشی الإنسان في الظلام، أو يفكر برأس غيره، أو يمشی

وراء كاهن أو رجل مشعوذ.

بل يريد المسلم الذي يعرف الإسلام عن بيئته، ويتفقه فيه على بصيرة. ومن حقه أن يسأل عن الدليل في كل أمر يرتاب فيه حتى يطمئن قلبه.

يعرف الحكم بدليله، والعلم هو معرفة الحق بالدليل.

واجب على الشاب المسلم أن يفهم ذلك، وبخاصة أنه قد مرت فترات على المسلمين جهلوا فيها الإسلام أو جهلوا فيها بالإسلام.

المدارس كانت تجهل الناس بالإسلام، لا تعطيههم إلا قشورا، وقشورا مشوهة. الشاب يدخل المدرسة ويخرج منها، فيعرف عن تاريخ أوروبا أكثر مما يعرف عن تاريخ الإسلام، ويعرف عن نابليون أكثر مما يعرف عن محمد صصص، ويعرف عن الثورة الفرنسية أكثر مما يعرف عن الدعوة الإسلامية.

لا يعرف عن السيرة النبوية إلا صفحات مبتورة.

ولا يعرف عن الصحابة سوى الفتن وقتال بعضهم لبعض.

ولكن لا يعرف ما هي الرسالة المحمدية، ما هي جوانب العظمة في الشخصية المحمدية، ماذا قدم الرسول صصص للعالم؟ وما خصائص هذا الجيل الذي رباه وسماته؟ وبماذا تميز عن بعده من الأجيال؟ ما هي الحضارة الإسلامية المتكاملة: الربانية الإنسانية العالمية الأخلاقية التي صنعها الإسلام، حين كان الغرب لا يرى الضوء إلا من سم الخياط..؟ .. إلخ.

ومن هنا يجب أن نفهم الإسلام حتى نستطيع أن نرد عنه الشبهات. نفهمه أولا لأنفسنا، حتى نسير على بيئته.

وثانيًا حتى نستطيع أن نفهمه لغيرنا، وأن نرد عنه شبهات الضالين، الذين يلبسون الحق بالباطل، وأكاذيب المفترين الذين يزورون على الإسلام ما ليس من الإسلام، وينسبون إلى رسول الإسلام ما ليس من سيرته، وإلى أمة الإسلام ما ليس فيها.

نحن في حاجة إلى أن يكون لدينا هذه المعرفة الواعية الناضجة عن ديننا ورسولنا وقرآننا وشريعتنا وتاريخنا وأمتنا وتراثنا، حتى نستطيع أن نحق الحق، ونبطل الباطل ولو كره المجرمون.

حيث لا ينبغي أن نقف موقف الدفاع فقط، بل ينبغي أن نعرف الإسلام، لنواجه به الخصوم ونقف موقف المهاجم لا موقف المدافع.

فما ينبغي لنا أن نظل في موقف الدفاع لنرد على الشبهات والمفتريات والأباطيل التي يروجها الأفاكون والدجالون من المستشرقين والمبشرين والماركسيين والملحدين والمأجورين من هنا وهناك.

يجب أن نكشف نحن عوار هؤلاء، ونبين ضلال ما عندهم، وهداية ما عندنا، وتفاهة ما عندهم، وعظمة ما عندنا: { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ } [فاطر: 19، 20].

ولذلك ينبغي أن ندعو غيرنا إلى ديننا، والدعوة يجب أن تكون على فهم؛ لأن الداعي يجب أن يدعو على بصيرة. ولهذا ينبغي لنا أن نقرأ؛ لأننا أمة القراءة أول آية وأول كلمة نزلت: { أَقْرَأْ } وكررت مرتين قال تعالى { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ 1 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [العلق: 1-5].

أمة القراءة كتابها اسمه القرآن. هذه الأمة للأسف لا تقرأ كان المسلمون في الزمن الماضي يقرءون ويقرءون حتى كان أحدهم يقرأ وهو على فراش الموت ويقول: أخشى أن يمر علي يوم لا أقرأ فيه؛ كان الواحد منهم كبير السن ويطلب العلم ويقال له: «إلى متى تطلب العلم»، فيقول: «إلى أن أموت». ومن الكلمات المأثورة: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد».

وقيل لبعضهم: أحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إذا كان الخطأ يقبح منه فإن التعليم يحسن به.

ولأسف ابتلينا بعصور لم تعد تعرف القراءة، ولا تعشق الكتاب، ولذلك ينبغي أن نقاوم نحن هذا الاتجاه، ونعود الأمة اتجاهها جديداً، أن تقرأ وأن تبذل جهداً في القراءة، بدل أن تبذل الجهد والوقت في أشياء تافهة قاتلة للوقت من غير فائدة.

كان سلفنا يقولون: «أن العلم لا يعطيك بعضه، حتى تعطيه كلك»: كل جهدك، كل وقتك، كل أنفاسك ليعطيك العلم بعض حقائقه { وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلٌ } [الإسراء: 85]. ولكن هل هذا وحده يكفي؟ أيكفي أن نفهم ونتفقه ونتعلم وقد أنتهى كل شيء؟

هل يريد الإسلام منا أن نصبح فلاسفة فقط، وأن تكون كل صلتنا به مجرد معرفة ذهنية؟ الجواب: لا.

2- واجب العلم بالإسلام:

أجل لا يكتفي الإسلام من المسلم بمجرد المعرفة الذهنية أن يقرأ ويتفقه ويمتليء رأسه علماً، ثم لاشيء بعد ذلك.

لا ... الإسلام يريد العلم الذي يثمر العمل، لا العلم الذي يثمر الكلام والجدل، يريد المعرفة الموصولة بالقلب، التي تحرك القلب والإرادة التي قال الله عز وجل في أصحابها: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28]. المعرفة الموروثة للخشية من الله عز وجل، وقد استعاذ النبي صص من العلم الذي لا ينفع صاحبه حين قال: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عمل لا يرفع، ومن دعوة لا يستجاب لها»⁴.

وكان عمر بن الخطاب ررر يستعيز بالله من المنافق العليم! قيل له: يا أمير المؤمنين أكون منافقاً وعلماً؟! قال نعم عالم اللسان جاهل القلب! وفي الأثر: «العلم علماً، علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب، فذلك هو العلم النافع».

إن الله ضرب أسوأ مثلين في القرآن لمن لا يعمل بعلمه: مثل الحمار، ومثل الكلب.

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة: 5].

وقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَاتَّبَعَهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: 175، 176].

⁴ حديث رواه مسلم.

وهذا لمن لم ينتفع بعلمه.

الإنسان المسلم يتعلم الصلاة ويصلي، ويتعلم الخشوع ويخشع، ويتعلم الزكاة ويؤتيها، ويتفقه في الحلال والحرام فيبتعد عن الحرام، ويتحرى الحلال. هذا هو العلم النافع. وبعد أن يتفقه في دينه ويصبح نموذجاً لما تعلمه ينظر الناس إليه، فيقولون: «انظروا ما أجمل تعاليم الإسلام، ما أجمل آداب الإسلام، ما أعظم أخلاق الإسلام!» لقد رأوا مجسدة في سيرة وسلوك. هكذا انتشر الإسلام في العالم. لم ينتشر بخطب ومقالات إنما انتشر بالعمل والأخلاق والسلوك.

لم يكن للإسلام مبشرون محترفون، كما نرى في الأديان الأخرى.

إن كثيراً ممن نشروا الإسلام كانوا أناساً عاديين جداً، تجاراً وصناعاً ومحترفين.

دخل الإسلام في أندونيسيا عن طريق التجار من حضرموت، وكذلك في كثير من البلاد.

وفي كوريا الجنوبية دخل الإسلام منذ عدة سنوات عن طريق التأسّي والتأثر، كان هناك جنود من الأتراك يحاربون أيام الحرب الكورية، وكانوا يرونهم كلما دخل وقت معين ذهبوا وتنظفوا وتطهروا وغسلوا الوجوه والأيدي والأرجل ووقفوا صفّاً واحداً بخشوع وأدب وانتظام فتأثروا بهم، وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون، قالوا: وما الإسلام؟ فعرفوهم بالإسلام على قدر ما يعرفون، فدخل آلاف منهم الإسلام عن طريق القدوة الحسنة.

الإسلام إنما ينتصر وينتشر بالقدوة الصالحة. يرى الناس صورة إسلامية مجسدة في إنسان فيحبونه ويحبون الإسلام بحبه. وهكذا انتشر الإسلام في الزمن الأول.

إن أغلظ حجاب حاجز يحجز العالم عن الإسلام اليوم هم المسلمون أنفسهم. الإسلام جميل جداً إذا قرأ في الكتب، ولكن حينما يرى الناس هذا الإسلام في أهله يقولون: لماذا لم ينفع أهله؟

لماذا نرى ما دعا إليه الإسلام مؤثراً في حياة أهله؟

الإسلام دعا إلى النظام، ولكن بلاد المسلمون يضرب بها المثل في الفوضى وارتباك الحياة.

دعا إلى التعاون، وليس هناك فردية ولا تخاذل أكثر مما في بلاد الإسلام.

دعا إلى القوة فما بال المسلمين ضعفاء؟

دعا إلى العلم والتقدم، ونجد بلاد الإسلام صورة للأمية والتخلف!

أسلم مرة أحد الغربيين عن طريق ما قرأ عن الإسلام في الكتب، وظل في شوق إلى أن يرى الإسلام في دياره، فعزم على أن يحج بيت الله الحرام، وجاء فعلاً إلى موسم الحج، ورأى ما رأى من الفوضى والتسيب وسوء الأخلاق، والعنف في المعاملة، وأشياء غريبة، مع أن الله تعالى يقول في الحج: {فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: 197].

فرأى غير ما عرف، فقال قولته المشهورة: «الحمد لله الذي عرفني الإسلام قبل أن أعرف المسلمين»!.

ولهذا يجب أن نكون مثلاً عملية للإسلام، أعضاء حية في جسم الأمة الإسلامية، مصحفاً يمشي على قدمين، مصحفاً مفصلاً.

ولذلك نحن نركز على العمل والسلوك: العمل الصالح والسلوك المستقيم.

الإسلام يريد منك أن تؤدي فرائض الله وأن تجتنب محارم الله، وأن ترعى حقوق عباد الله، وأن ترعى حقوق نفسك أيضاً.

فإن لبدنك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لزوارك عليك حقاً، وإن لمجتمعك عليك حقاً، وإن لربك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه. هناك توازن في الحياة، يجب أن يحرص عليه المسلم؛ لأنه من صلب الإسلام. وبهذا يستقيم سلوك المسلم، ويستقيم عمله.

فالسلك المستقيم ثمرة الفقه المستقيم للإسلام، والسلوك يختلف من إنسان لآخر.

السلوك يترقى ولا يقف عند درجة واحدة كما أن الطالب يترقى من الإعدادية إلى الثانوية إلى الجامعة.. إلى الدكتوراه، أيضاً يترقى في مجال الخير وحسن الصلة بالله تعالى.

قد يقنع المسلم في أول الأمر أن يقتصر على الفرائض، ثم بعد ذلك ينتقل إلى السنن وبعض النوافل، ثم يترقى إلى صلاة الليل، فيقوم شيء من الليل وهكذا.. ومثل هذا يقال في جانب المنهيات فهو يدع المحرمات أولاً، ثم يترقى فيتترك الشبهات، ثم المكروهات، ثم يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، شأن المتقين. وينبغي أن يعزم على الخير ويصدق مع الله تنت.

وإذا صدق العزم وضح السبيل.

3- واجب الدعوة إلى الإسلام:

هناك واجب ثالث هو واجب الدعوة إلى الله ... لا يكفي أن يكون الفرد صالحاً في نفسه، فالإسلام لا يكتفي أن يكون الإنسان صالحاً في حد ذاته حتى يكلفه أن يصلح غيره ... يحمل الدعوة لإصلاح الغير، ولهذا نجد سورة العصر تشتترط لنجاة الإنسان من الخسران أن يوصي غيره بالحق وأن يقبل الوصية منه:

{وَالْعَصْرِ 1 إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} [سورة العصر].

لا يكتفي بالإيمان والعمل الصالح. بل لابد أن يوصي بالحق ويقبل الوصية به. تفاعل بين الجانبين وهذا معنى «التواصي».

ولذلك يجب أن تجند نفسك للحق، ولا بد بعد ذلك أن توطن نفسك على الصبر، ولهذا قرن بين التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

كما قال لقمان لابنه وهو يعظه: {يُبَيِّنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: 17].

لا بد من الصبر فالدعوة شاقة وخاصة في عصرنا ... الله عز وجل قال لرسوله في أول عصر النبوة: {إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل: 5].

فالدعوة قول ثقيل، وعبء كبير، ونحن ورثة هذا العبء وهذا القول الثقيل.

فإذا كنا في عصر مثل هذا العصر يزداد العبء ثقلاً، لإعراض الناس عن الدين، ولقلة اليقين، ولإقبال الناس عن الدنيا، وإدبارهم عن الآخرة، وكثرة

المعوقات عن الخير، وكثرة المغريات بالشر.

ومن هنا يزداد العبء ضخامة على أهل الدعوة .. ستجد المعوقات أمامك حتى في داخل بيتك، لعلك تجد أباك، لعلك تجد أخوتك، لعلك تجد أصدقائك وأقرب الناس إليك يعوقونك ويثبطونك ويقولون لك: مالك ولهذا؟ أتريد أن تسجن؟ أتريد أن تعتقل؟ أتريد أن تعذب؟ أتريد كذا وكذا؟

وإذا كانت فتاة فإنها تلقى الاستهزاء والتهمك من اللباس الشرعي.

في العام الماضي عرفت فتاة كانت تلبس الخمار على رأسها وتغطي عنقها، وتلبس الثياب الطويلة.

وفي هذا العام عرفت أنها خلعت كل ذلك ولبست ملابس السفور، وأنها ظلت تعاني ضغطاً كبيراً من أهلها وأقاربها ووالدتها وعماتها وبنات عماتها وخالاتها وبنات خالاتها.

يستهنئون من اللباس الشرعي والتحشم.

طبعاً المؤمنة الواثقة لا تبالي بهذا كله، بل تزداد إصراراً على حق الله وحدوده، ولكن ضعف إيمانها، فاستجابت لهذه النداءات المفسدة.

ولذلك نجد في عصرنا كثرة المغريات والصوارف والقواطع، ولذا ورد في الحديث: «أن القابض على دينه كالقابض على الجمر».

والعامل في مثل هذه الأيام -أيام الفتن- له أجر خمسين من صحابة النبي صصص قيل: خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل منكم». وفي بعض الروايات: «تجدون على الخير أعواناً، ولا يجدون على الخير أعواناً».

ومن هنا ينبغي أن نحرص على أن نتمسك بالإسلام وندعو غيرنا، رغم المقاومة، ورغم الضغط العائلي، والاجتماعي والسياسي من كل الجوانب.

يجب أن نقاوم هذا كله ونكون أقوى ... ليس هناك دعوة لا تقاوم. كل دعوة لها مخاصمون ولها مقاومون: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام: 112]، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ} [الفرقان: 31].

أجل، إن الذي خلق آدم خلق إبليس.

والذي خلق إبراهيم خلق نمرود.

والذي خلق موسى خلق فرعون.

والذي خلق محمد خلق أبا جهل.

وكل زمان يوجد فيه فرعون، وفيه نمرود، وفيه أبو جهل، باختلاف الأسماء والعناوين، ولكن ما أكثرهم وإن تسموا بأسماء مختلفة!

وهذا العصر - كما يقولون عنه - عصر «الأيديولوجيات» الجديدة. فإذا كانت الشيوعية لها أنصارها، واليهودية لها أنصارها، والماسونية لها دعواتها، والنصرانية لها مبشروها، وراهباتها، وراهبانها والبهائية، والقاديانية ... وكل مذهب باطل له دعاة وأنصار.

أفلا يكون لأهل الإسلام رجاله وأنصاره؟

وهو بطبيعته دين انتشاري، دين دعوة: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: 33].

ولهذا نقول: إن واجب الشباب في هذا العصر أن يوطن نفسه على أن يدعو

إلى الله عز وجل.

وليس هناك أعظم من هذه الوظيفة؛ لأنها وظيفة النبيين .. وهذا يجعله يستمسك بعروة الحق، بالعروة الوثقى.

لأنه إذا دعا سوف يحاول أن يكون صورة طيبة لما يدعو إليه، ويجعله يستمسك بالتعاليم الإسلامية.

4- واجب الترابط على الإسلام:

إن الشباب الذين وطنوا أنفسهم على أن يفهموا الإسلام فهمًا صحيحًا، وعلى أن يؤمنوا به إيمانًا عميقًا، وعلى أن يتواصوا به ويدعوا إليه، ينبغي أن يتعاونوا فيما بينهم وأن يترابطوا فيما بينهم.

فليس هناك عمل للإسلام يتمثل في صورة فردية، العمل الفردي لا يكفي ولا يغني.

لا بد من عمل جماعي، وأقصد بالعمل الجماعي أن يرتبط بعضنا ببعض ارتباطًا أخويًا، ونتحاب في الله ونتراور في الله، ونتجالس في الله، ونبادل في الله، ونتفاهم في القضايا المشتركة، وإن اختلفت الجماعات التي ننتمي إليها.

بدون هذا لا نستطيع أن نقيم عملاً؛ لأن اليد وحدها لا تصفق والله تعالى يقول: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا كَبِيرًا} [الأنفال: 73].

هؤلاء يعاون بعضهم بعضًا، ويوالي بعضهم بعضًا، وينصر بعضهم بعضًا.

فينبغي أن يولي بعضنا بعضًا، وأن يعاون بعضنا بعضًا، ويرتبط بعضنا

ببعض، حتى لا يكون هناك تكتل في جانب الباطل، وفردية و فراغ في جانب الحق.

وفي هذه الحالة تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

وأخيراً ... هذه واجبات أربعة يجب على الشباب أن يعيها، وأن يفتش كل في نفسه: هل أدى حقها؟ هل قام بهذه الأعباء؟

يجب على الشاب المسلم أن يعرف واجبه في هذا العصر، وأن يستفيد من التاريخ القريب والبعيد، ويعرف كيف يمشى بمسيرة الإسلام، وبحركة الإسلام، حتى تقوم للإسلام قوة وتقوم للإسلام دولة.

فعار على المسلمين أن يكون لكل مذهب ولكل دين دولة ودول، إلا الإسلام، نريد أن تكون للإسلام دولة تتبنى الإسلام عقيدة وشرعية وأخلاقاً وحضارة ورابطة ونظام حياة.

ولا بد أن يأتي هذا اليوم: { وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الروم: 4-6].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *